



خطبة صلاة الجمعة 1/7/2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(لبيك اللهم لبيك - في الحج والحياة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52] وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤)﴾ [النساء: 13-14].

أخرج أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا يقول يوم الجمعة قال: «... من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما قد غوى، ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه، ويطيع رسوله، ويتبع رضوانه، ويجتنب سخطه، فإنما نحنُ به وله».

وأخرج الترمذي عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يلي إلا لى عن يمينه وعن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا».

عنوان خطبة اليوم: لبيك اللهم لبيك - في الحج والحياة

أيها الإخوة:

التلبية نشيد الحاج وشعاره، يرفع صوته بالتلبية إذا علا شرفاً أو هبط وادياً، يرفع صوته بالتلبية إذا تنفس الصبح أو أقبل الليل، يرفع صوته بالتلبية بعد الصلوات وبين الأوقات، يرفع صوته بالتلبية إذا اجتمع بأصحابه أو خلا بنفسه.

ينادي بتلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" وإن زاد على ذلك فلا بأس.

ومعنى التلبية: إجابة المنادي، فإذا ناداك امرؤ قلت له لبيك، بمعنى أنك سامع قوله مجيب أمره. ومعنى لبيك اللهم: أي إجابة لك يا رب بعد إجابة، وطاعة لأمرك بعد طاعة، وإقامة ببابك بعد إقامة.

ولبيك كلمة مثناة لفظاً ومعناها التكثير أو التوكيد لا خصوص الاثنين.

لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] معنى التلبية أنني يا رب سأجيبك إجابة بعد إجابة، وأطيع أمرك طاعة بعد طاعة، فلا أنقض البيع لأن زبونا دفع أكثر، ولا أؤخر تسليم المبيع عن مواعده، ولا أنقص من المبيع شيئاً تم الاتفاق عليه. لبيك اللهم لبيك!

لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 254] معنى التلبية أنني يا رب سأجيبك إجابة بعد إجابة، وأطيع أمرك طاعة بعد طاعة، فلا أمسك حقاً لعبد عندي، ولا أمنع نفقة أوجبها الله علي بل أنفق مما رزقني الله، لبيك اللهم لبيك!

لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29] معنى التلبية أنني يا رب سأجيبك إجابة بعد إجابة، وأطيع أمرك طاعة بعد طاعة، فلن يأكل المسلم مال أخيه بالرشا ولا بالغش، ولن يعتدي على المال العام أو الخاص بسرقة ولا اختلاس، ولن يسطو على مال أخيه بالتزوير أو اليمين الغموس، لبيك اللهم لبيك!

لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153] معنى التلبية أنني يا رب سأجيبك إجابة بعد إجابة، وأطيع أمرك طاعة بعد طاعة، فلا أترك صلاة ولا أؤخرها عن وقتها، ولا أجزع عند شر ولا أهلع عند ضيق بل أصبر وأحتسب، لبيك اللهم لبيك!

لما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102] معنى التلبية أنني يا رب

سأجيبك إجابة بعد إجابة، وأطيع أملك طاعة بعد طاعة، فستجدني يا رب حيث أمرتني وستفتقدني حيث نهيتني، سأذكرك فلا أنساك وأشكرك فلا أكفرك وأطيعك فلا أعصيك، لبيك اللهم لبيك!

أيها الإخوة:

"لبيك اللهم لبيك" نشيد الحاج، ولكنها تدريبٌ لكلِّ مسلم ليلزم أمر الله مرة بعد مرة ويوماً بعد يوم إذ لا سعادة لبني الإنسان إلا بطاعة الله تعالى.

"لبيك اللهم لبيك" قالها الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص عندما بعث غلماناً له تجاراً، فجاءوا، قال: ما جئتم به؟ قالوا: جئنا بتجارة يربح الدرهم عشرة، قال: ما هي؟ قالوا: خمر. قال: خمر، وقد نهينا عن شرابها وبيعها!! فجعل يفتح أفواه الزقاق ويصبها.

"لبيك اللهم لبيك" قالها التابعي الجليل سليمان بن يسار وقد كان من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها، فقالت له: ادنُ فخرج هارباً عن منزله وتركها فيه.

قال سليمان: فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم، وكأني أقول له: أنت نبي الله يوسف الذي راودته امرأة العزيز عن نفسه فاستعصم؟ قال: نعم، أنا يوسف الذي راودتني امرأة العزيز فاستعصمت وأنت سليمان الذي راودتك تلك المرأة فاستعصمت.

"لبيك اللهم لبيك" قالها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما شكى إليه القبطي ابن عمرو بن العاص إذ ضربه على رأسه لأن فرسه سبقت فرسه، فأقام عمر العدل بينهما وأمر القبطي أن يضرب على رأس ابن عمرو وقال: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

"لبيك اللهم لبيك" قالتها ابنة بائعة اللبن عندما أمرتها أمها أن تمزج الماء بالحليب فامتنعت وقالت: إذا كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا!

"لبيك اللهم لبيك" قالتها أم سليم أم سيدنا أنس بن مالك لما مات ولدها وكان زوجها غائباً، فقالت لأهلها: لا تحدثوا زوجي بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، رأييت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوها؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب، ثم قال: تركتني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتني بابني، فعلم بذلك رسول صلى الله عليه وسلم فدعا لهما بالبركة في أولادهما.

"لبيك اللهم لبيك" قالها كل أولئك بأفعالهم قبل أقوالهم، وبجوارحهم قبل ألسنتهم، فكانوا مُلبّين حقاً وطائعين صدقاً.

أيها الإخوة:

ما قال لبيك اللهم لبيك من اعتدى في الميراث، أو وقع في أعراض الناس!
وما قال لبيك اللهم لبيك من ظلم شريكه أو خان صديقه!
وما قال لبيك اللهم لبيك من جحد الحقوق أو اتصف بالعقوق!
ولئن قال هؤلاء لبيك اللهم لبيك بألسنتهم فإن أعمالهم خالفتها وإن فعالهم فارقتها.
ولكي يقول أحدنا لبيك اللهم لبيك صادقاً بها سواء كان في الحج أو كان في بلده، يوافق فيها فعاله مقالته، فعليه بثلاثة أمور: العلم والذكر والصحبة.
أما العلم: فأن يتعلم ما أحل الله وما حرم وما أمر به وما نهى عنه، إذ كيف يطيع من لم يعرف ماذا يطيع، وكيف يتقي من لا يعرف ماذا يتقي.
وأما الذكر: فليحيا به القلب فإذا وقع عليه أمر الله ونهيه استجاب فأثبت من كل زوج بهيج.
وأما الصحبة: فإن المرء قوي بإخوانه والصاحب الصالح يذكرك إذا نسيت ويعينك إذا ذكرت ويعلمك إذا جهلت.

كتب أحد الشعراء مخاطباً ربه في مثل هذه الأيام يقول:

لبيك إنّ الجمعَ من أعماقه لبيّ	فلبيّ بعد ذاك صداهُ
لبيك ربي فالذنوبُ ثقيلةٌ	من ذا يقيّلُ الذنبَ إلا اللهُ
لبيك إنّ العيشَ عيشُ الآخرة	كلُّ ينادي ضارعاً رباهُ
لبيك عُدنا عاملين بعلمنا	والعفوُ منك اليوم ما أرجاهُ
لبيك واجعلْ كلَّ عِرْقٍ نابضٍ	عوناً لنا في كل ما نلقاهُ
لبيك ندعو والدعاءُ وسيلةٌ	ما خابَ عبدٌ قد سمعتَ نِداهُ
لبيك وارزقنا أعالي جنّة	نسلو بجيرةٍ أحمدٍ ونراهُ

والحمد لله رب العالمين